الباب الأول

ألوان الإخوة

الباب الأول
ألوان الإخوة

مقدمة الفصل:

لقد خلق الله الكون وعمَّره بخلقه على مختلف الأجناس، والإشكال، والألوان، وجعل بينهم، وسيلة للتخاطب، والتواصل. وهى اللغات. وأرشدهم عن طريق الرسل إلي ما فيه سعادتهم في دنياهم، وأخراهم وبين لهم أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين، بل وأحوجهم الله إلى بعضهم البعض حتى تزداد الصلة بينهم على جميع المستويات، والناس في الأصل مرجعهم لأب واحد، وأم واحده فهم جميعا إخوة، وإن تعددت الأصول والفروع. ومن هذا المنطلق ولما كانت الإخوة تحتاج إلى ماء يرويها وطعام يغذيها حتى تثمر وتينع وتؤتى أكلها بإذن ربها ويعيش الجميع في سعادة وراحة وألفه ومودة ومحبه وتواد وتراحم وتآخى، لقد رفع الإسلام شأن الإخوة وعممها ولم يقصرها على إخوة النسب، والدين فحسب بل عممها لتشمل غير المسلمين بل جعل الإسلام لهم حقوق من أهدرها عد مخالف لتعاليم الدين، ويستحق العقوبة والغضب من الله عز وجل.، فالإخاء في الإسلام شامل محيط يضم في رحابه بني الإسلام ويزداد تواثقا بإخوة الدم والنسب ويتيه فخرا وشرفا وتمكنا بإخوة الإيمان فالإخاء إذا له ثلاث أنحاء إخوة في الإنسانية وإخوة في النسب وإخوة في الدين وتجتمع كلها في الأخ المؤمن وتنفرد في الكافر غير القريب.

لقد جاء ذكر الإخاء في القرآن الكريم بأنماط مختلفة خمساً وتسعين مرة، يشتمل بعضها على نماذج من قصص الإخاء والأخوة وما لها من تأثير في العواطف والمشاعر ويشتمل البعض الآخر على أحكام الميراث.

الفصل الأول

الإخوة الإنسانية:

الناس جميعا من أصل واحد أبوهم آدم وأمهم حواء قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ١ ﴾ النساء: ١

وفي هذا المعنى قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم– في خطبه الوداع: "يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وليس لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على ابيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى إلا هل بلغت اللهم فاشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب".([1])

وروى أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– خطب الناس يوم فتح مكة فقال:"يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وتعاظمها بآبائها فالناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ الحجرات: ١٣([2])فالناس جميعا سواء في أصل النشأة، لا امتياز لواحد على آخر إلا بما يقدمه من عمل صالح مؤسس على إيمان وثيق بالله وملائكته ورسله ولكن هذا الامتياز وذلك الفضل لا يعنى التناكر، والتدابر مع غير المسلمين ما داموا قائمين على العهد محافظين على أداء ما عليهم فلهم بذلك حقوق تؤدى ولا يحق للمؤمن انتقاصهم، أو الاعتداء عليهم، أو ظلمهم، بل إن الدفاع عنهم حق واجب يفرضه ديننا الحنيف، ألا ما أحوج الإنسانية المعذبة إلى هذا الدين تداوى به جراحها وتلتقط في ظله الرحيب أنفاسها وتتذوق معه طعم الأمان والسلام:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ ﴾ الممتحنة: ٨ . قال القرطبي رحمه الله في في قوله تعالى في هذه الآية فيه ثلاث مسائل:

الأولى: هذه الآية رُخصة من الله تعالى في صِلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم.

وقال أكثر أهل التأويل: هي محكمة. واحتجوا: بأن أسماء بنت أبي بكر سألت النبي– صلى الله عليه وسلم–: هل تَصل أمها حين قدِمت عليها مشركة؟ قال: «نعم»([3]). وقيل: إن

---

[1]) صحيح الترغيب برقم(٢٩٦٣)

[2]) صحح الجامع برقم(٣٢٧٠)

[3])البخاري ومسلم.

الآية فيها نزلت. وروى عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه– رضي الله عنه–: أن أبا بكر الصديق طلّق امرأته قُتيلة في الجاهلية، وهي أم أسماء بنت أبي بكر، فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وبين كفار قريش، فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق قرطاً وأشياء فكرهت أن تقبل منها حتى أتت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فذكرت ذلك له، فأنزل الله تعالى﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ ([4]).

الثانية: **{أَن تَبَرّوهُمْ}**أي لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم. وهم خُزاعة، صالحوا النبي– صلى الله عليه وسلم–على ألا يقاتلوه ولا يُعينوا عليه أحدا فأمر ببرهم والوفاء لهم إلى أجلهم حكاه الفراء. **{وَتُقْسِطُوَاْ إِلَيْهِمْ}** أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على وجه الصلة. وليس يريد به من العدل فإن العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي.

الثالثة: قال القاضي أبو بكر في كتاب الأحكام له: استدل به بعض مَن تُعقد عليه الخناصر على وجوب نفقة الابن المسلم على أبيه الكافر. وهذه وهلة عظيمة، إذ الإذن في الشيء أو ترك النهي عنه لا يدل على وجوبه، وإنما يعطيك الإباحة خاصة. دخل على إسماعيل بن إسحاق القاضي ذِمي فأكرمه، فأخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلا هذه الآية عليهم.([5])

روى الترمذي عند تفسير هذه الآية أنها نزلت في سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه– وأمه حمنة بنت أبي سفيان، وكان بارا بأمه. فقالت له: ما هذا الدين الذي أحدثت؟ والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع إلى ما كنت عليه أو أموت، فتتعير بذلك أبد الدهر، يقال: يا قاتل أمه، ثم إنها مكثت يوما وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها وقال: يا أماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني، فكلي إن شئت، وإن شئت فلا تأكلي. فلما أيست منه أكلت وشربت. فأنزل الله هذه الآية آمرا بالبر بالوالدين والإحسان إليهما، وعدم طاعتهما في الشرك.

وهكذا انتصر الإيمان على فتنة القرابة والرحم؛ واستبقي الإحسان والبر.

إن هذا الاتجاه الإيماني يستظل بظله كل بني آدم على اختلاف مناهجهم وأديانهم وألوانهم وأوطانهم فكل من على ظهر الأرض أبوهم آدم وأمهم حواء إن الإسلام دين اجتماعي يجمع ولا يفرق يوحد ولا يشتت دين عاش في ظله أصحاب الأديان الأخرى أمنين على أنفسهم، وأموالهم، وأولادهم، وحياتهم.

---

[4]) أبو داود والطّيَالسي في مسنده.

[5]) تفسير القرطبي.